

# ابن البيطار

ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد

محمد أمين الميداني

□ توطئة :

حفلت كتب التراجم والسير في مكتبة التراث العربي بالعديث عن العلماء والأدباء في شتى الميادين ومختلف المجالات . فكان أن حفظت هذه الكتب أخبار شهرتهم وحوادث علومهم وأمارات نبوغهم ، ودون أصحابها ما ذاع من صيت هؤلاء العلماء والأدباء وما ألفوه ووضعوه من كتب ومجلدات وقد تركوا بصماتهم على أحداث عصرهم شاهداً على ما عرفته تلك العصور من ازدهار وتقدم وتآلق في ميادين المعرفة ومجالات العلوم والآداب والفنون . وجاء المحدثون لينفضوا ما علق على كتب التراث هذه من غبار ويجلوا ما لف أصحابها من نسيان أو إهمال وليعرفونا على سيرهم وما جادت به قرائحهم وما خطته أقلامهم وما توصلوا إليه من طرق للدراسة ومناهج للبحث والتأليف .

الذي كان حسب رأي ابن أبي أصيبعة<sup>(١)</sup> :  
« أوحده زمانه وعلامة وقته في معرفة النبات وتحقيقه واختياره ومواضع نباته ، ونعت أسمائه على اختلافها وتنوعها »<sup>(٢)</sup> .

وهو بنظر أحد المستشرقين الطبيب العربي الوحيد الذي وقف حياته كلها لدراسة علم النبات<sup>(٣)</sup> .

وكتب التراث العربي ورجالاته قد حظيت بالقدر المقبول من الاهتمام على أن هذه الخطوة لم تكن كافية ولا عادلة فكان نصيب بعضهم من الدراسات والبحوث ووافر الاهتمام بهم وبأعمالهم أكثر من بعض . وانطلاقاً من ذلك جاء مقالنا هذا محاولة متواضعة لتسليط مزيد من الأضواء وللفت انتباه المختصين الى واحد من علماء النبات والأعشاب وهو ابن البيطار ،

## ب - رحلاته ومكائنه العلمية :

إن العلوم التي وقف عليها ابن البيطار حياته وجهه وتقانيه لها كانت دافعاً له للانتقال من قطر الى آخر ومن بلد الى بلد .

فبعد أن تلقى هذا العالم علومه الأولى في الأندلس اتجه نحو المشرق حوالي عام ٦١٧-٦١٨ هـ / ١٢١٩-١٢٢٠ م - بعد أن سبقه إليها أستاذه أبو العباس حوالي عام ٦١٣-٦١٤ هـ / ١٢١٦-١٢١٧ م<sup>(٨)</sup> - ماراً في البداية ببلدان المغرب العربي ليجمع هناك بالباحثين في علم النبات والمشتغلين به . فكان يجب الأماكن ليمتحن الأعشاب ويصفها ويذكر فوائدها .

ومن المغرب تابع ابن البيطار طريقه بعد ذلك فزار آسيا الصغرى ماراً بمدينة أنطاكية ليصل منها الى سورية ولينتقل بعدها الى مصر، ومنها رحل الى الحجاز، فغزة ، فالقدس، فيبروت ، وقد زار اليونان حسب رواية أحد المستشرقين<sup>(٩)</sup> .

وقد زادت هذه الرحلات من خبرة هذا العالم في ميدان علم النبات وساعدت على اكتشاف المزيد من الأعشاب . وكما قلنا لم يكن ابن البيطار يألو جهداً في سبيل الاجتماع بالعلماء العرب أينما حل . فكان لقاءه - على سبيل المثال - بنفيس الدين وتاج الدين البلغاري وغيرهم كثير<sup>(١٠)</sup> .

ولم تقتصر علوم ابن البيطار على النبات والأعشاب بل شملت الطب والصيدلة أيضاً ، وفاقت شهرته على جميع الصيادلة في القرون الوسطى<sup>(٤)</sup> ، حيث كانت له تفاسير لأسماء أدوية كتاب ديسقوريدس<sup>(٥)</sup> .

## ١ - في التعريف بحياة ابن البيطار :

إن لمحة وجيزة عن حياة هذا العالم العربي وعن رحلاته ومكائنه العلمية والعصر الذي عاش فيه ضرورية لأن تجعلنا نقف على المشوار الذي قطعه قبل أن تتطرق للقسم الثاني من هذه المقالة والذي يبحث في منهج ابن البيطار في الدراسة واكتشافاته العلمية وما أغنى به مكتبة التراث العربي من كتب ومؤلفات .

## أ - اسمه ولقبه وتاريخ وفاته :

هو ضياء الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد المالقي - نسبة الى مدينة مالقة في الأندلس<sup>(٦)</sup> - المعروف بابن البيطار . ولد هذا العالم في الربع الأخير من القرن السادس الهجري (لم يعرف تاريخ ميلاده بالضبط<sup>(٧)</sup>) في مدينة مالقة ، وتلقى تعليمه في مدينة اشبيلية حوالي عام ٦١٧ هـ / ١٢١٩ م ، على أيدي علمائها أبي العباس النبائي ، وعبدالله بن صالح ، وأبي الحجاج .

أما وفاته فكانت في مدينة دمشق في شهر شعبان من عام ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م .

## مكانته العلمية :

أما في مصر فقد اتصل ابن البيطار بالملك الكامل الأيوبي<sup>(١١)</sup> الذي كان يحكم مصر ودمشق<sup>(١٢)</sup> . واعتمد الملك الكامل الأيوبي على هذا العالم في الأدوية والحشائش وجعله مقدماً في أيامه وحظياً عنده<sup>(١٣)</sup>، فسلمه حوالي عام ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م منصب رئيس العشابين وأصحاب البسطات في الديار المصرية<sup>(١٤)</sup> ، كما جعله رئيساً للأطباء في مصر<sup>(١٥)</sup> . وكان تفاني هذا العالم في خدمة الملك الكامل الأيوبي وإخلاصه لذكراه دافعاً له ليبقى في خدمة ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب<sup>(١٦)</sup> بعد وفاة أبيه ، فكان حظياً مقرباً عنده في الوقت الذي عرف فيه ابن البيطار وذاع صيته واشتهر شهرة عظيمة .

## ج - عصره :

عاش ابن البيطار في عصر عرف باضطراب الأحوال السياسية وتدهور الأوضاع العامة . ففي الأندلس كانت دولة الموحدين على وشك الانهيار ، فحمد الناصر ٥٩٦-٦١١ هـ / ١١٩٩-١٢١٤ م - أحد أحفاد مؤسس دولة الموحدين عبد المؤمن الكومي<sup>(١٧)</sup> - انهزم أمام جيوش الأفرنجية وفرّ إلى مراكش ، وكان أن سقطت بعدها دولة الموحدين عام ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م<sup>(١٨)</sup> بعد أن تعاقب على حكمها عدة أمراء لم يفلح أحد منهم في الإبقاء على هذه الدولة .

أما في العراق فقد كانت الخلافة الإسلامية تعيش عصب أوقاتها . فالفرس والأتراك يتحكمون بمقاليد الحكم ، ويسيطرون أمور الدولة على حسب أهوائهم . وكان الخلفاء العباسيون ألعبوبة في أيديهم<sup>(١٩)</sup> . وكان الخطر يحدق بالخلافة العباسية منذ أوائل القرن السابع للهجرة ، فالمغول بقيادة جنكيز خان استولوا على بخارى وسمرقند وبلخ حوالي عام ٦١٦-٦١٧ هـ / ١٢١٩-١٢٢٠ م ، ولقي المسلمون على أيديهم ضرباً مختلفاً من الذل والهوان والعذاب . وكانت نوايا المغول تتجه نحو غزو العراق الذي اجتاحتته جيوشهم بعد معارك مختلفة انقضت بين كرٍّ وفرٍّ إلى أن بلغوا تخوم بغداد عام ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م<sup>(٢٠)</sup> ليحاصروها ويضربوها بالمناجيق وكان أن سقطت بغداد عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م وكان ذلك إيذاناً بزوال الخلافة العباسية .

أما حالة العلم والعلماء فكانت في أعصب أوقاتها . فبعد أن عرفت بغداد ذلك العصر الذي تألقت فيه العلوم والآداب والفنون، حيث كانت حركة الترجمة من لغات الشعوب والأمم المختلفة، على ما حوتها من آداب وعلوم وفلسفات ، إلى اللغة العربية على أشدها في ذلك الوقت، وفتحت هذه الحركة أمام علمائنا وأدبائنا آفاقاً جديدة ووضعت بين أيديهم امكافات هائلة ما كانوا ليصلوا إليها أو يعرفوها لولا تلك الترجمات الغزيرة، لتجيء بعدها القرائح والأفكار العربية

النبات والصيدلة والطب مبتدئين بشهادة  
تلميذه فيه .

#### أ - شهادة ابن أبي أصيبعة في ابن البيطار :

كان ابن أبي أصيبعة صاحب كتاب  
( عيون الأنباء في طبقات الأطباء ) تلميذاً  
لابن البيطار ، وقد صحبه في الكشف عن  
النباتات في منطقة دمشق ، وحدثنا ابن أبي  
أصيبعة عن اجتماعه بأستاذه وعن أخلاقه  
ومنهجه في الدراسة والبحث وطريقته في الكشف  
عن النباتات والأعشاب فقال: « وأول اجتماعي  
به كان بدمشق في سنة ثلاث وثلثين وستمائة،  
ورأيت أيضاً من حسن عشرته وكمال مروءته  
وطيب أعراقه وجودة أخلاقه ودرايته وكرم  
نفسه ما يفوق الوصف ويتعجب منه ، ولقد  
شاهدت معه في ظاهر دمشق كثيراً من النباتات  
في مواضعه ، وقرأت عليه أيضاً تفسيره لأسماء  
أدوية كتاب ديسقوريدس ، فكنت أجد من  
غزارة علمه ودرايته وفهمه شيئاً كثيراً جداً ،  
وكنت أحضر عدة (٢٣) من الكتب المؤلفة في  
الأدوية المفردة ، مثل كتاب ديسقوريدس  
وجالينوس والغافقي وأمثالها من الكتب  
الجليلة في هذا الفن فكان يذكر أولاً ما قاله  
ديسقوريدس في كتابه باللفظ اليوناني على  
ما قد صححه في بلاد الروم ثم يذكر جملة  
ما قاله ديسقوريدس من نفعه وصفته وأفعاله  
وما يتعلق بذلك . ويذكر أيضاً جملاً من أقوال  
التأخرين فيه . ومواضع الغلط والاشتباه

فتزيد عليها وتبتكر فيها بعد أن تمثلتها ووعتها  
وشرحتها . بعد ذلك العصر المتألق أصبحت  
معالم الازدهار والتقدم تضمحل وشعلة الحضارة  
تتلاعب بها رياح الاضطرابات والانقسامات  
والحروب التي عرفها القرن السابع للهجرة ،  
الى أن خبت وانطفأت مع استيلاء المغول  
على بغداد .

أما في الأندلس فإن الحركتين العلمية  
والأدبية كانتا في أوج الازدهار والتقدم منذ  
أوائل الحكم الاسلامي فيها وبخاصة أيام  
الناصر الأموي (٢١) . فقد كان الاهتمام والاعتناء  
بمختلف فواحي العلوم والآداب والفنون جلياً  
واضحاً ، والآثار العمرانية المتعددة والمنشرة في  
أطراف الأندلس شاهدة على هذا الاهتمام ،  
وذلك الاعتناء . الا أن هاتين الحركتين سرعان  
ما أصابهما الضعف مع تعاقب حكم الدول على  
الأندلس الى أن سقطت في أيدي الأفرنج عام  
٨٩٧ هـ / ١٤٩٢ م (٢٢) .

#### ٢ - منهج ابن البيطار في الدراسة والبحث واكتشافاته العلمية وما أغنى به مكتبة التراث العربي :

لعلنا في هذا القسم نبلغ بيت القصيد  
فنتعرف على ما أسهم به ابن البيطار ، بنبوغه  
وتفوقه ومهاراته ، في العلوم التي برع فيها  
وأضاف إليها المزيد من الاكتشافات مغنياً مكتبة  
التراث بمؤلفاته ودراساته وبحوثه التي كان  
لها الأثر البعيد واليد الطولى في تطوير علوم

الذي وقع لبعضهم في نعته ، فكنت أراجع تلك الكتب معه ، ولا أجده يغادر شيئاً مما فيها ، وأعجب من ذلك أيضاً أنه ما كان يذكر دواء الا ويعين في أي مقالة هو من كتاب ديسقوريدس وجالينوس ، وفي أي عدد هو من جملة الأدوية المذكورة في تلك المقالة » (٢٤) .

#### ب - منهجه في الدراسة والبحث :

ان الأسلوب الذي سلكه ابن البيطار في وضعه لمؤلفاته والطريقة التي اعتمد عليها في بحوثه ودراساته تستحقان كل تقدير واعجاب . وحري بمن يضع مناهج للدراسة والبحث في أيامنا هذه أن يعتمد ما فيها من براعة ودقة وأمانة علمية . ولنترك لابن البيطار نفسه أن يحدثنا عن الأغراض التي توخاها والمنهج الذي اتبعه في التأليف حين أخرج كتابه المشهور (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) .

كتب ابن البيطار في مقدمة كتابه هذا : (الغرض الأول) بهذا الكتاب استيعاب القول في الأدوية المفردة والأغذية المستعملة على الدوام والاستمرار عند الاحتياج إليها في ليل كان أو نهار ، مضافاً الى ذلك ذكر ما ينتفع به الناس من شعار وثمار واستوعبت فيه جميع ما في الخمس مقالات من كتاب الأفضل ديسقوريدس بنصه وكذا فعلت أيضاً بجميع ما أورده الفاضل جالينوس في الست مقالات من مفرداته بنصه ثم ألحقت بقولهما من أقوال المحدثين في الأدوية النباتية والمعدنية والحيوانية

ما لم يذكره ووصفت فيها عن ثقات المحدثين وعلماء النباتين ما لم يصفاه وأسندت في جميع ذلك الأقوال الى قائلها وعرفت طرق النقل فيها بذكر ناقلها واختصت بما تم لي به الاستبداد (٢٥) وصح لي القول فيه ، وصح عندي الاعتماد عليه .

(الغرض الثاني) صحة النقل فيما أذكره عن الأقدمين وأحرره عن المتأخرين فما صح عندي بالمشاهدة والنظر وثبت لدي بالخبر ، ادخرته كنزاً سرياً وعددت نفسي عن الاستعانة بغيري فيه سوى الله غنياً وما كان مخالفاً في القوى والكيفية والمشاهدة الحسية في المنفعة والماهية للصواب والتحقيق أو أن ناقله أو قائله عدلاً فيه عن سواء الطريق نبذته ظهرياً وهجرته ملياً وقلت لناقله أو قائله ، لقد جئت شيئاً فرياً ولم أحاب في ذلك قديماً لسبقه ولا محدثاً اعتمد غيري على صدقه .

(الغرض الثالث) ترك التكرار حسب الامكان الا فيما تمس الحاجة اليه لزيادة معنى وتبيان .

(الغرض الرابع) تقريب ماأخذه بحسب ترتيبه على حروف المعجم مقفى ليسهل على الطالب ما طلب من غير مشقة ولا عناء ولا تعب . (التنبيه الخامس) التنبيه على كل دواء وقع فيه وهم " أو غلط لمتقدم أو متأخر لاعتماد اكثرهم على الصحف والنقل واعتمادي على التجربة والمشاهدة حسب ما ذكرت قبل .

(الغرض السادس) في أسماء الأدوية  
بسائر اللغات المتباينة في السمات مع أنني لم  
أذكر فيه ترجمة دواء الا وفيه منفعة مذكورة  
أو تجربة مشهورة» (٢٦) .

#### ج - اكتشافاته العلمية :

لقد أسهم ابن البيطار في مجالي النبات  
والصيدلة باكتشافاته العلمية البارزة سواء عن  
طريق العشور على نباتات جديدة أثناء تجواله  
ورحلاته ذاكراً خواصها وفوائدها الطبية ، أم  
بالشروح والملاحظات التي دونها فيما يتعلق  
بتخزين النباتات المختلفة وحفظها وبمؤلفاته  
الهامة في علم الأقرباذين .

١ - ففي ميدان حفظ النباتات وتخزينها:  
كان ابن البيطار : « أول من شرح تأثير التخزين  
والحفظ على المواد الفعالة والمكونات الغذائية  
الموجودة في النبات » (٢٩) : مما سمح فيما بعد  
بوضع « الأسس العلمية لحفظ وتخزين النباتات  
الطبية والفطرية ، بالإضافة الى الحبوب أمثال  
الحنطة وغيرها » (٣٠) . وبذلك سبق هذا العالم  
بشروحه الدراسات الحديثة التي اعتمدت أصلاً  
على مؤلفاته ومؤلفات غيره من العلماء العرب  
لوضع الأصول التي ساعدت على حسن تخزين  
وحفظ مختلف أنواع الثباتات والحبوب لنصل  
الى ما نعرفه اليوم من أسس وطرق للحفظ  
والتعليب .

٢ - أما عن عشوره على نباتات جديدة :  
فسيكون من الاطالة أن نعدد كل ما عثر عليه

ومن هذه المقدمة نلاحظ أن أسلوب ابن  
البيطار في وضعه لمؤلفاته كان البدء بالتعريف  
باسم احد الأدوية ثم اعطاء عدة مرادفات لهذا  
الدواء مع العودة الى ما كتبه العالم اليوناني  
ديسقوريدس وكذلك العالم جالينوس فيما  
يختص هذا الدواء ومن ثم يستشهد ابن البيطار  
بالمحدثين من العلماء العرب في أيامه وبالدرجة  
الأولى العافقي واسحاق بن عمران والدينوري (٢٧)  
كما عرفنا ذلك من شهادة ابن أبي أصيبعة .  
وكان ابن البيطار يعتمد على الخبرة  
والتجربة ولا يتردد عن نبذ ما يراه مغالفاً لما  
شاهده ولمسه بعد الخبرة والتجربة مع الدقة في  
النقل وعدم التكرار حريصاً في الوقت نفسه  
على حسن الترتيب على حروف المعجم مع  
التيب على كل وهم أو غلط ارتكبه أحد من  
الأقدمين او المحدثين مبدئاً رأيه في حال وجود  
تناقضات او اختلافات بين العلماء المختصين (٢٨)  
محتفظاً لكل دواء باسمه الذي يعرف في موضع  
نباته مترجماً له ان كان فيه منفعة أو فائدة ،  
وفي هذا كل الصدق والإمانة العلمية اللتين  
يجب أن يتحلى بهما كل باحث أو دارس ،  
وهكذا كان حال ابن البيطار الذي وضع منهجاً  
فريداً في البحث وطريقة مثلى للدراسة فاستحق

فلوز البربر اسم بربري لأحد النباتات الذي احتفظ به ابن البيطار حين وضع مؤلفه المشهور (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) (٣٥) . وفي ذلك ما يدل على الدقة والأمانة العلمية اللتين تحدثنا عنهما أثناء تعرضنا لطريقته في البحث والتأليف .

ومن النباتات التي جاء ابن البيطار على ذكرها والموجودة في مناطق (مصر) هناك العديد المعروف منها في أيامنا هذه ، فعلى سبيل المثال لا الحصر : البامية ، الترمس ، الشامام ، الطرخون ، الهليون (٣٦) .

أما عن النباتات الجديدة، ففي خلال تجواله بالقرب من مدينة قسطنطينة (الجزائر) ، قطف ابن البيطار لأول مرة نبات Le PYRETHRE أو ما يسمى بغريب . وفي تونس عثر على نبات Le TAFRAIT ، أو ما يسمى بالعريية دلدغ (٣٧) . وفي ليبيا دون ملاحظاته لأول مرة عن نبات L'OUCHCHAR (٣٨) . هذا عن رحلته في بلدان المغرب (٣٩) ، أما في بلدان المشرق فقد قطف ابن البيطار في غزة La PASSERINE أو ما يسمى بحشيشة العصفور ، وفي القدس قطف Le COIX LACRYMAJOB ، وفي لبنان Le DAPHNOIDES ، وفي أنطاكية L'HIPPOHAE . أو ما يسمى بشولة الصبار (٤٠) .

أما مؤلفاته الهامة في علم الأقرباذين فسنفرد لها فقرة خاصة إلا أننا نشير سلفاً إلى الطريقة

ابن البيطار أثناء تجواله وتنقلاته بين قطر وآخر، وحسبنا أن نشير هنا إلى بعض النباتات سواء المعروفة منها في أيامنا هذه لدى عامة الناس، أو تلك التي هي أقل تداولاً ومعرفة مشيرين في الوقت نفسه إلى ظاهرة جد هامة في طريقة التدوين التي اتبعها ابن البيطار لأسماء النباتات ألا وهي احتفاظه بالأسماء البربرية للنباتات التي وجدها وقطفها (٣١) ، فعلى سبيل المثال نبات Argan أو (ارجان) وهو ما يعرف ثمره في بلدان المغرب باسم (لوز البربر) . فقد كتب ابن البيطار عن هذا النبات ما نصه : « (لوز البربر) ابن رضوان (٣٢) هو ثمر شبيه بصغير البلوط أصفر اللون في أحد جوانبه ثقب غير نافذة إلى داخله وداخله شبيه بحب الصنوبر يجلب من شجر كبار بالمغرب الأقصى حار يابس للبطن ودهنه ينفع من الطرش القديم ووجع الأذن نفعاً يتيماً والشربة منه التي تمسك البطن نصف درهم . لي هذا (٣٣) هو الهرجان والبربر بالمغرب الأقصى يسمونه أرجان وهو شجر يكون بالمغرب الأقصى بقبيلة مراكش يبلاد حاحا وركراكا كثير الشوك حديده يمنع شوكه من الوصول إلى جني ثمرته ويستخرج من ثمرته دهن بأن تعطى ثمرته المعز أو الإبل تأكله عند نضجه على شجره ، فإذا أكلته ورمت بنواه من بطونها فحينئذ يلقطونه ويكسرون كاللوز ويأخذون لبه فيطحن كالزيتون ويستخرج منه دهن يتأدم به وهو عندهم من أفضل الأدهان وأرفعها ويسمى زيت الأركان » (٣٤) .

وتحريرها ومنافعها مبيناً الصحيح منها وما وقع الاشتباه فيها .

ولقد ذكرنا في معرض حديثنا عن منهجه في الدراسة والبحث الأغراض التي توخاها حين وضع مؤلفه هذا ، وحسبنا ان نشير هنا الى شهادة ابن أبي أصيبعة - الذي كان كتابه (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) أعظم الكتب وأوفاهها في تراجم الأطباء العرب<sup>(٤٢)</sup> - فقد قال : « لم يوجد في الأدوية المفردة كتاب أجل ولا أجود منه »<sup>(٤٣)</sup> ، ذاكراً أن ابن البيطار قد صنف كتابه هذا للملك الصالح نجم الدين أيوب حين كان مقيماً في مصر<sup>(٤٤)</sup> .

لقد كان المرجع الأساسي لكتاب (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) حسب رواية الدكتور مايرهوف<sup>(٤٥)</sup> - كتاب أحمد الغافقي المتوفى سنة خمس مائة وخمسين هجرية .

طبع هذا الكتاب في القاهرة (بلاق) سنة ١٢٩١ هـ - ١٨٧٤ م . في أربعة أجزاء وقد ترجمه الى اللغة الفرنسية الدكتور لوسيان لوكليير Lucien LECLERC وسمحت هذه الترجمة بالقيام بأبحاث عديدة في علم الأقرباذين عند العرب . وقد قام ابن منظور صاحب (لسان العرب) بوضع مختصر لكتاب ابن البيطار ، وهذا المختصر موجود في الخزانة التيمورية<sup>(٤٦)</sup> .

٢ - ومن كتبه المشهورة أيضاً كتاب (المغني في الأدوية المفردة)<sup>(٤٧)</sup> ، وهو مرتب

التي انتهجها ابن البيطار وأمثاله من العلماء العرب في وضعهم لكتب العقاقير من شرح للمترادفات اليونانية والعربية واللاتينية مما جعل علماء الغرب أمثال سيمون دي كوردو Simon DE CORDO يحذون حذوهم فيما بعد في وضعهم لمعاجمهم ومؤلفاتهم<sup>(٤٨)</sup> .

#### د - كتبه ومؤلفاته :

لقد كان حصيلة ما تركه ابن البيطار من كتب ومؤلفات دليلاً واضحاً وبرهاناً جلياً على تفوق هذا العالم ونبوغه في مجالات النبات والطب والصيدلة مما جعله يرقى الى مصاف كبار علماء المسلمين الذين أغنوا المكتبتين العربية والاسلامية بالبحوث والدراسات والمجلدات ، وان لم نفلح نحن أحفاد أولئك العلماء باستغلال ذلك الرصيد الهائل من المعرفة والعلوم تاركين لأوروبا أن تستفيد منه وتستغله في بناء حضارتها ومجدها العلمي ، فحريّ بنا اليوم ان نقول هذه الثروة العلمية اهتمامنا ونكرس لها من وقتنا ما يعيد اليها بريقها ولمعانها بالبحث والدراسة والتنقيب .

أما ما عرفناه من كتب ابن البيطار ومؤلفاته فهي :

#### ١ - كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية :

هذا الكتاب من أشهر كتب ابن البيطار عمداً فيه الى ذكر الأدوية المفردة وأسمائها



الفصل العشرون : يحوي على الأدوية الأكثر استعمالاً في الطب<sup>(٥٠)</sup> .

ولم يكتف ابن البيطار في كتابه هذا بذكر الأدوية بل أدلى برأيه فيها بعد أن أخضعها للتجربة والملاحظة . فمثلاً مما ذكره عن مرض الجدري . أنه حالما تظهر البقع عند الطفل يجب أن ندلك له باطن القدم بالحنة مما يجنيه - حسبما لاحظته ابن البيطار - أن تظهر مثل هذه البقع على العيون<sup>(٥١)</sup> .

وقد لاحظ لوكلير أن (المغني في الأدوية المفردة) كان معتدلاً في التفصيلات المتعلقة بعلم الأمراض على خلاف تلك المتعلقة بالتاريخ الطبيعي وفي هذا النطاق نجد عدة وقائع لا نجدها في كتاب (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية)<sup>(٥٢)</sup> .

ولا يزال كتاب (المغني في الأدوية المفردة) مخطوطاً<sup>(٥٣)</sup> ، وقد ساعد هذا الكتاب على التعرف على حياة ابن البيطار<sup>(٥٤)</sup> . وقد أهدى هذا العالم كتابه المغني للملك الصالح نجم الدين أيوب<sup>(٥٥)</sup> .

٣ - كتاب (الإنبابة والإعلام بما في المنهاج من الخل والأوهام) : والمنهاج هو كتاب ابن جرّولة<sup>(٥٦)</sup> (منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان) - مخطوط - وقد رتبته ابن جرّولة على الحروف وجمع فيه أسماء الحشائش والعقاقير والأدوية<sup>(٥٧)</sup> . وفي كتابه (الإنبابة والإعلام بما في المنهاج من

بحسب مداواة الأعضاء ، وقد استعمله ابن السكويّدي<sup>(٥٨)</sup> - تلميذ ابن البيطار - لتأليف كتابه (السمات في أسماء النبات)<sup>(٥٩)</sup> .

لقد ألّف ابن البيطار كتابه هذا بعد أن كتب (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) مما أتاح لهذا العالم أن يضيف عدداً لا بأس به من الوثائق الجديدة في كتابه المغني ، الذي ينقسم الى عشرين فصلاً يحوي كل واحد منه على الأدوية النافعة لمعالجة مرض من الأمراض ، فعلى سبيل المثال :

الفصل الأول : يحوي على الأدوية المتعلقة بمعالجة أمراض الرأس .

الفصل الثاني : يحوي على الأدوية المتعلقة بمعالجة أمراض الأذن .

الفصل الثالث : يحوي على الأدوية المتعلقة بمعالجة أمراض العيون .

أما الفصول الأربعة الأخيرة من هذا الكتاب التقيّم فهي :

الفصل السابع عشر : يحوي على الأدوية المستعملة للتجسيل .

الفصل الثامن عشر : يحوي على الأدوية المستعملة ضد الحرارة أو فساد الجو .

الفصل التاسع عشر : يحوي على الأدوية المستعملة ضد السموم .

العالم الاسلامي ابن البيطار ، الذي شملت علومه واختصاصاته مجالات النبات والصيدلة والطب، وان كنا قد أغفلنا من ذكر أخباره أو كبير قدره وسعة اطلاعه وعلومه وعظيم تفوقه ونبوغه فمذرنا أنها محاولة متواضعة أردنا منها أن نلفت انتباه اخواتنا المشتغلين والمتخصصين في علوم ابن البيطار لعل ما بقي من كتبه المخطوطة أو المطبوعة - وما أندرها - يلقي الاهتمام للتفرغ للطبع والشرح والتعليق ، فمهما تعاقبت القرون والسنون على كتب التراث فان قيمتها لا تضعع ويريقها لا يتلاشى وبخاصة ما جاء به نبوغ ابن البيطار وذكأؤه ، فما قامت عليه علوم الصيدلة والنبات قد بني على هذه الكتب وعلى غيرها من مؤلفات العلماء العرب والتي لها علينا ولأصحابها الحق كل الحق بالحفظ والإشادة والتذكير .

الخلل والأوهام) عمده ابن البيطار الى شرح أدوية كتاب ديسقوريدس<sup>(٥٨)</sup> .

٤ - كتاب (ميزان الطبيب) ولا يزال مخطوطاً<sup>(٥٩)</sup> .

٥ - كتاب (الأفعال الغريبة والخواص العجيبة)<sup>(٦٠)</sup> .

٦ - رسالة في الأقضية والأدوية<sup>(٦١)</sup> .

٧ - (مقالة في الليمون وشرابه ومنافعه)<sup>(٦٢)</sup> .

٨ - كتاب (جامع المنافع البدنية في طب البرية)<sup>(٦٣)</sup> .

٩ - (رسالة في تداوي السموم)<sup>(٦٤)</sup> .

□ الخاتمة :

وبعد ، فهذا غيض من فيض لما احتوته مكتبة التراث العربي ، وما كتبه المستشرقون عن

★ ★ ★

□ هوامش :

١ - هو موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي : طبيب مؤرخ ولد في مدينة دمشق عام ٥٩٦ هـ / ١٢٠٠ م . سليل عائلة خرجت عدة أطباء . أقام في مدينة دمشق وتوفي بصرخد - المعروفة اليوم بصلخد - (حوران) عام ٦٦٨ هـ / ١٢٧٠ م . له عدة مؤلفات أشهرها (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) . راجع الاعلام لغير الدين الزركلي منشورات مطبعة كوستانتينوبوليس وشركاه . القاهرة : ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م . الطبعة الثانية ج ١ ص (١٨٨ - ١٨٩) . والموسوعة الاسلامية الصادرة باللغة الفرنسية الطبعة الثانية منشورات : E. J. BRILL LEYDE - G. - P. MAISONNEUVE et LAROSE S. A. PARIS 1971

الجزء الثالث ص (٧١٥ - ٧١٦) .

٢ - ابن أبي أصيبعة . عيون الأنباء في طبقات الأطباء . الباب الرابع عشر ص (٦٠١) . شرح وتحقيق الدكتور نزار رضا . منشورات مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٥ م .

٣ - لوسيان لوكليز : « دراسة تاريخية ولغوية عن ابن البيطار » . مقالة منشورة في المجلة الآسيوية الصادرة باللغة الفرنسية ص (٤٣٧) . شهر حزيران من عام ١٨٢٦ م .

LECLERC lucien « Etude Historique et Philologiques sur EBN BETAR ». Journal Asiatique. Juin 1962, p. 437.

٤ - جلال مظهر • اثر العرب في الحضارة الأوروبية • منشورات دار الرائد بيروت ١٩٦٧ م • ص (٢٧٣) •

٥ - ديسقوريدس : طبيب يوناني ولد في عين زربة في آسيا الصغرى في القرن الاول بعد الميلاد •

٦ - مألقة - حسب ما أخرجه ياقوت الحموي في معجم البلدان • منشورات دار صادر بيروت ١٩٧٧ • الجزء الخامس ص (٤٣) :  
« مدينة بالاندلس عامرة من أعمال رية سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية » •

٧ - هناك من المستشرقين من ذكر أن ولادة هذا العالم كانت في عام ١١٩٧ م • إلا أن الدكتور لوكلير لم يعتمد هذا الرأي •  
راجع لوسيان لوكلير • تاريخ الطب العربي • منشورات بريت فرانكلين - نيويورك ١٨٧٦ م • الجزء الثاني ص (٢٢٥) •

LECLERC lucien. Histoire de la médecine arabe. Editions Burt Franklin, N.Y. 1876. Tome II, p. 225.

٨ - المرجع السابق ص (٢٢٦) •

٩ - ريتية باسية • الأسماء البربرية للنباتات في الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار • في مجلة الجمعية الآسيوية الإيطالية • لعام ١٨٩٩ م • ص (٥٣) •

BASSET René. les nom berbères des plantes dans le traité des simples d'Ibn ELBEITAR.  
Giornal della Societa Asiatica Italiana. Volume Doclicesiom 1899, p. 53.

١٠ - لوكلير • تاريخ الطب العربي • الجزء الثاني ص (٢٢٨) •

١١ - هو محمد بن محمد بن أيوب من سلاطين الدولة الأيوبية • ولد بمصر وتولى حكمها بعد وفاة أبيه سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٧ م •  
وامتدت حدود الدولة الأيوبية أيام حكمه لتصل إلى ديار الشام ، كما دخل ابنه ( الملك المسعود ) سنة ٦٢٠ هـ /  
١٢٢٢ م مكة المكرمة • وقد توفي الملك الكامل في دمشق عام ٦٣٥ هـ / ١٢٣٨ م • ودفن في قلعتها • راجع الإعلام  
للزركلي • الطبعة الثانية الجزء السابع • ص (٢٥٥) •

١٢ - الدكتور أحمد السعيد سليمان • تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة • منشورات دار المعارف بمصر  
عام ١٩٧٢ م • الجزء الأول ص (١٤٢) •

١٣ - محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي • فوات الوفيات ص (٤٣٤) • وهو ذيل على كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان • حققه  
وضبطه وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد • وطبع في مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٥١ م •

١٤ - ابن أبي أصيبعة • عيون الأنباء في طبقات الأطباء • الباب الرابع عشر •

١٥ - أرنست سيكينبرجر • النباتات المصرية لابن البيطار • مقالة منشورة في مجلة المعهد المصري الصادرة باللغة الفرنسية •  
الجزء الثاني ، رقم (١٠) لعام ١٨٨٩ م • القسم الثاني من العدد ص (٣) •

SICKENBERGER Ernest. « les Plantes Egyptiennes d'Ibn Belthar ». Bulletin de l'Institut  
Egyptienne. Deuxième Série No. 10. Année 1889. Deuxième Parle, p. 3.

١٦ - هو أيوب بن محمد بن أبي بكر بن أيوب من كبار ملوك بني أيوب في مصر • ولد في القاهرة عام ٦٠٣ هـ / ١٢٠٦ م •  
وولي الحكم بعد وفاة أبيه عام ٦٣٥ هـ / ١٢٣٨ م • مات الملك الصالح بالمنصورة في مصر عام ٦٤٧ هـ / ١٢٤٦ م • وقد  
عُرف بالشجاعة والعزم أيام حكمه • راجع الإعلام • للزركلي • الطبعة الثانية الجزء الأول ص (٣٨٢) •

١٧ - هو عبد المؤمن بن علي بن مغلوف بن يعلى بن مروان ، أبو محمد الكومي ، مؤسس دولة الموحدين في المغرب ، وإفريقية  
وتونس • كانت ولادته عام ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م في مدينة تاجرت قرب تلمسان في الجزائر • بنوع أميراً للمؤمنين عام  
٥٢٦ هـ / ١١٣١ م بعد أن تم له الأمر في المغرب الأقصى عقب وفاة المهدي ابن تومرت • دخل مراکش عام ٥٤١ هـ

١١٤٦/ م وخضع له المغربيان الأقصى والأوسط . استولى على اشبيلية وقرطبة وغرناطة والجزائر والمهدية وطرابلس الغرب . توفي في رباط سلا عام ٥٥٨ هـ / ١١٦٣ م ونقل الى تينملل ليدفن فيها . راجع الاعلام . للزركلي ، الطبعة الثانية . الجزء الرابع . ص ( ٣١٩ ) .

١٨- محمد أسعد طلس . تاريخ الأمة العربية . عصر الاتساق . الطبعة الأولى . منشورات دار الأندلس بيروت ١٩٥٨ م . ص ( ٢٥٤ ) .

١٩- محمد أسعد طلس . تاريخ الأمة العربية عصر الانحدار . الطبعة الأولى منشورات دار الأندلس بيروت ١٩٦٣ م . ص ( ٨ ) .  
٢٠- المرجع السابق ص ( ٩ ) .

٢١- هو عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الأريضي بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، أبو المطرف المرواني الأموي . كان أول من تلقب بالخليفة من رجال الدولة الأموية في الأندلس وكان ذلك عام ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م . ولد في عام ٢٧٧ هـ / ٨٩٠ م في قرطبة وتوفي فيها عام ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م . راجع الاعلام للزركلي الطبعة الثانية . الجزء الرابع . ص ( ٩٩ - ١٠٠ ) .

٢٢- محمد أسعد طلس . تاريخ الأمة العربية . عصر الاتساق . الطبعة الأولى ص ( ٢٥٧ ) .

٢٣- ولعله قصد : أحضر دراسة عدة من الكتب ...

٢٤- ابن أبي أصيبعة . عيون الأنباء في طبقات الأطباء . الباب الرابع عشر .

٢٥- ولعله قصد ( الاسناد ) .

٢٦- نقلنا ما جاء في هذه المقدمة من إحدى نسخ كتاب ابن البيطار ( الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ) . الجزء الأول ص ( ٢ - ٣ ) . والمطبوع حسب ما ورد في الصفحتين ( ٢١٠ - ٢١١ ) من نهاية الجزء الرابع في مطبعة ( اسماعيل ابن إبراهيم بن محمد علي ) - بولاق - حيث تمت طباعة هذه النسخة في أواخر ذي القعدة من سنة مائتين والف وأحدى وتسعين هجرية . ( وهذه النسخة موجودة في المكتبة الوطنية لمدينة ستراسبورغ بفرنسا تحت الرقم س ١١٢٥٩ ) .

٢٧- هو أحمد بن داود بن وتند الدينوري ، أبو حنيفة . عالم ومؤرخ نباتي وهو من أوائل المسلمين الذين قاموا بوضع أسس تصنيف النبات في القرن الثالث الهجري . ترك عدة مؤلفات منها ما طبع مثل « الأخبار الطوال » وهو مختصر في التاريخ . لم يعرف تاريخ ميلاده ، إلا أن وفاته كانت في عام ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م . راجع الاعلام . للزركلي . الطبعة الثانية الجزء الأول . ص ( ١١٩ ) .

٢٨- لوكلير . دراسة تاريخية ولغوية عن ابن البيطار . ص ( ٤٣٤ ) .

٢٩- الدكتور علي مجذوب . علوم الزراعة والبيطرة في الحضارة الإسلامية . الاسلام اليوم : مجلة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة . العدد الأول ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م . ص ( ٥٧ ) .

٣٠- المرجع السابق . ص ( ٥٧ ) .

٣١- لوكلير . تاريخ الطب العربي . الجزء الثاني ص ( ٢٢٦ ) .

٣٢- بدأ ابن البيطار يذكر ما كتبه أحد العلماء العرب عن هذا النبات وهو ابن رضوان . وابن رضوان هذا هو علي ابن رضوان بن علي بن جعفر ، أبو الحسن : طبيب ، رياضي ومن العلماء من أهل مصر . لم يعرف تاريخ ميلاده وكانت وفاته عام ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م . له عدة مؤلفات وترجمات ومن كتبه المطبوعة « دفع مضار الأبدان » . وقد كان حسب ما ذكره ابن تغري يردى : من كبار الفلاسفة في الاسلام . ومن كتبه في هذا المجال « حل شكوك الرازي على كتب جالينوس » و « المستعمل من المنطق في العلوم والصنائع » و « التوسط بين أرسطو وخصومه » . راجع الاعلام . للزركلي ، الطبعة الثانية . الجزء الخامس ص ( ١٠٠ ) .

٣٣- ويقصد هنا ابن البيطار نفسه .

٣٤- ابن البيطار . كتاب الجامع لمفردات الادوية والاعذية . مطبعة اسماعيل بن ابراهيم بن محمد علي ١٢٩١ هـ / ١٨٧٤ م .  
الجزء الرابع ص (١١٢) .

٣٥- ريتية باسية . الاسماء البربرية للنباتات في الجامع لمفردات الادوية والاعذية لابن البيطار . ص (٥٨) .

٣٦- ارنست سيكينجر . النباتات المصرية لابن البيطار . ص (٩ ، ١٠ ، ١١) .  
ذكر سيكينجر أن ابن البيطار أشار الى تسع وتسعين نباتا من نباتات مصر وأنه ( أي سيكينجر ) أكد وجود واحد وخمسين من هذه النبات . وأن هناك أحد عشر نباتا لم يتعرف أحد على وجودهم وأنه قد توصل لتحديد خمسة منهم على خلاف الستة الباقية وأنه رفض وجود أو طعن في ستة وثلاثين نباتا وبذلك يكون المجموع تسعا وتسعين نباتا .  
راجع مقالته ص (٦) .

٣٧- جاء ابن البيطار على ذكر هذا النبات في كتابه ( الجامع لمفردات الادوية والاعذية ) ، الجزء الثاني ص (٩٥) :  
« ( دلغ ) أبو العباس النباتي يقال مضموم الدال ساكن اللام بعدها دال أخرى مضمومة ثم غين معجمة اسم ببلاد بيت المقدس للنوع العريض الورق من الكلخ المعروف بقرنطة من بلاد الأندلس بالكلخ الدلبي وبغيرها من بلاد البربر بالتأخير مختبر عندهم في النفع للأوجاع ويزيد في الباء شريا قال المؤلف هذا الدواء المسمى باليونانية سفندوليون » .

٣٨- لوسيان لوكلير . تاريخ الطب العربي . الجزء الثاني ص (٢٢٦) .

٣٩- المرجع السابق . ص (٢٢٦) .

٤٠- المرجع السابق . ص (٢٢٨) .

٤١- جلال مظهر . أثر العرب في الحضارة الأوروبية . ص (١٩٨) .

٤٢- الدكتور نشأت حمارة . تراجم الأطباء العرب . مجلة التراث العربي . العدد الرابع . السنة الثانية . آذار ١٩٨١ م .  
ص (٣٦) .

٤٣- ابن أبي أصيبعة . عيون الأنباء في طبقات الأطباء . الباب الرابع عشر .

٤٤- شعاعته فتواتي . تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والوسيط . منشورات دار المعارف بمصر ١٩٥٩ م .  
ص (١٦٩) .

٤٥- المرجع السابق ص (١٦٩) .

٤٦- راجع مجلة المجمع العلمي العربي . دمشق . المجلد الثالث . الجزء العادي عشر - تشرين الثاني عام ١٩٢٣ م .  
ص (٣٦١) .

٤٧- في ترجمة فوات الوفيات اسم الكتاب ( المفتي في الطب ) .

٤٨- هو ابراهيم بن محمد بن علي بن طرخان الانصاري ، ابواسحاق ، عز الدين ، من ولد سعد بن معاذ ، من الأوس ، نسبته الى السويداء . طبيب دمشقي كانت ولادته عام ٦٠٠ هـ / ١٢٠٤ م . عمل طبيبا في « البيمارسان التنوري وبيمارسان باب البريد » في دمشق . له في الطب « التذكرة الهادية » . و « الباهر في خواص الجواهر » . توفي عام ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م . راجع الاعلام . للزركلي . الطبعة الثانية . الجزء الاول ص (٦٠) .

٤٩- شعاعته فتواتي . تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والوسيط . ص (١٦٩) .

٥٠- لوسيان لوكلير . تاريخ انطب عند العرب . الجزء الثاني ص (٢٣٥ - ٢٣٦) .

٥١- المرجع السابق . ص (٢٣٦) .

٥٢- المرجع السابق . ص (٢٣٦) .

٥٣- هذه المخطوطة موجودة في باريس وهناك عدة روايات لرقم هذه المخطوطة . فقد كتب لوكليز أنها تحت الرقم /١٠٠٨/ في المجموعة القديمة ، أما في المجموعة الجديدة فهي تحت الرقم /١٠٢٩/ . أما في موسوعة بروكلمان ص (٦٤٨) فالمخطوطة موجودة في باريس تحت الرقم ( I / ٢٩٩٠ ) ، أما في الملحق الأول لنفس الموسوعة ص (٨٩٧) فهي تحت الرقم ( ٥٧٧٧٦٦٢٣ ) .

٥٤- لوسيان لوكليز . تاريخ الطب عند العرب . الجزء الثاني ص (٢٣٦) .

٥٥- الموسوعة الاسلامية الصادرة باللغة الفرنسية . الطبعة الثانية . الجزء الثالث ص (٧٦٠) .

٥٦- هو يحيى بن عيسى بن جزلة البغدادي ، أبو علي . لم يعرف تاريخ ميلاده . كان ياحثا من أهل بغداد ، وامام انطب في عصره . كان مسيحيا واسلم في سنة ٤٦٦ هـ واتصل بالمقتدي بالله العباسي . من كتبه بالاضافة للمنهاج : « تقويم الأبدان » وهو مطبوع . و « الاشارة في تلخيص العبارة » . ورسالة « الرد على النصاري » . ورسالة في « فضائل الطب » كانت وفاته في سنة ٤٩٣ هـ / ١١٠٠ م .  
راجع الاعلام . للزركلي . الطبعة الثانية . الجزء التاسع . ص ( ٢٠٢ - ٢٠٣ ) .

٥٧- في الفاتيكان نسخة منه وقد ترجم الى اللاتينية عام ١٥٣٢ م . الاعلام للزركلي . الطبعة الثانية . الجزء التاسع . ص (٢٠٢) .

٥٨- ابن أبي أصيبعة . عيون الأنباء في طبقات الأطباء . الباب الرابع عشر .

٥٩- الاعلام . للزركلي . الطبعة الثانية . الجزء الرابع ص (١٩٢) .

٦٠- ابن أبي أصيبعة . عيون الأنباء في طبقات الأطباء . الباب الرابع عشر .

٦١- الموسوعة الاسلامية الصادرة باللغة الفرنسية . الطبعة الثانية ١٩٧١ . الجزء الثالث ص (٧٥٩) .

٦٢- موسوعة بروكلمان . الصادرة باللغة الألمانية . الملحق الأول لعام ١٩٣٧ م . ص (٨٩٧) .

٦٣- المرجع السابق . ص (٨٩٧) .

٦٤- موسوعة بروكلمان . الصادرة باللغة الألمانية طبعة عام ١٩٤٣ م . ص (٦٤٨) .

★ ★ ★